معرض

«علاقات» بلاستيك وحديد وخشب، 70×100 سم (من المعرض)

حوارٌ مفتوح بين الفنان الأردني وبين المادة الخام التي يتعامل معها، ضمن عملية متراكمة، تشكّل جزءاً أساسياً من ذاكرة معرضه الذي يتواصل في «المتحف الوطني الأردني للفنون الجميلة» بعمّان، حتى الثلاثاء المقبل

أثر المادة في تحوّلاتها البصرية

غسان مفاضلة ذاكرة الفنّان وحدوسه

عمّان ـ **محمود منير**

يجذبك عند دخولك معرض «أثر على أثر» للفنان والناقد التشكيلي الأردني غسان مفاضلة (1964)، في «المتحف الوطني الأردني للفنون الجميلة» بعمّان، عمل فني يتألّف من ستّة أعمدة خشبية متوازية مطلية بألوان وأكريليك وثبّتت عليها زنبركات (نوابض معدنية) تذكّرك باستخدامها في الأثاث، قبل نحو ثلاثة أو أربعة عقود، وربما يندر العثور على تصميمها نفسه اليوم.
الزنبرك عنصرٌ مألوف لدى العديد من زوّار المعرض، الذي افتُتح منتصف الشهر الجاري ويتواصل حتى الثلاثين منه، قبل أن يعاد استعماله وفق علاقات بصرية جديدة مع عناصر أخرى لتشكيل عمل فنيّ يحمل عنوان «6×7»، لاحتواء كلّ عمود من الأعمدة الستّة ثقوباً سبعة في إشارة إلى مقاييس النزعة المركزية السبعة في علم الإحصاء (الوسط الحسابي، الوسط الموزون، الوسيط، والمنوال...) لكن تكسُّر أحد الأعمدة أفقده ثقبين، ما استدعى من الفنّان كسر هذه المعادلة الرياضية جمالياً في عمود ثانٍ مبقياً ثلاثة ثقوب فقط. حوارٌ مفتوح بين مفاضلة وبين المادة الخام التي يتعامل معها، ضمن عملية متراكمة دائمة، وتشكّل جزءاً أساسياً من ذاكرة العمل الفنيّ، وتستفزّ المتلقي على إعادة تصوّرها وتمثّلها بوصفه شريكاً في تنفيذه، وهو استدراج متقصّد، من أجل تمكين أي متلقٍّ من تخيّل اقتراحات جمالية؛ إضافة أو حذفاً أو تعديلاً على تكوين العمل، وهنا تتجلّى اللعبة في إعادة بناء لا تنتهي. لعبة تفترض الذهاب نحو الفنّ بلا تخطيط مسبق، أو استناداً لمفاهيم وأفكار جاهزة، إذ تمتلك المادّة «إغراءات»، بحسب وصف الفنّان، تحفّزه على خلق حواره معها الذي قد يطول لسنوات عديدة؛ إغراءات تتّصل بتكوينها الطبيعي وشكلها، وأحياناً بالصدأ عند تعامله مع الحديد، المادة الأثيرة لديه، نظراً إلى مطواعية تشكيله باليد أو بالماكينة، كما تبرز طبقات الزمن بوضوح على سطحه، توحي بأثر المادة خلال عملية تشكّلها، منذ أن كانت في الطبيعة إلى أن وصلت إلى صالة العرض.
الأثر الذي يعيد تصوّر المكان الأول الذي وُجدت فيه المادة الخام، ثم في انتقالها إلى مشغل الفنان، حيث تكتسب شكلها وحركتها من دون قسر وإجبار مسبقين، وتندغم فيها قصة تكوين العمل ضمن سياق يحفظ روح المادة/ روح الطبيعة الأم، متفاعلاً مع حدوس الفنان واجتهاده، وتساؤلات المتلقّي التي تتدفق حول كل التموضعات الحقيقية والمتخيلة للمادة/ المواد المستخدمة التي أسّست سردية العمل في لحظة عرضه. وفق هذا المنظور للفنّ، فإنّ المادة تصنع حضورها عبر شكلانية تقودها عملية الإنشاء التي تعني تأمّلاً عميقاً في اختبار احتمالات تدوير العناصر وإعادة تركيبها، بتلقائية وعفوية في التجريب تؤول إلى الاختزال والرغبة في استكشاف تلك البدئية في معنى الخلق رغم دلالاته المعقدة والمختزنة لخبرات ومرجعيات بصرية متعددة، كما نلاحظها في عمل «انعكاس» (صوت وصدى) حيث أنشأه من ألواح من الخشب تحتوي دوائر مُفرغة فوق الخشب مع الأكريليك.
في هذا الانعكاس، نسترجع في تكوين العمل الذي يقترب من عمران المدينة محاط بسواد فاحم، تلك الصلة القلقة بين الإنسان ووجوده المديني، وسط تاريخ من الحروب والاضطرابات والاغتراب، وغيرها من التصوّرات المحكومة لبنيةٍ تجريدية محتشدة بالتخيّلات والانزياحات عن الواقع الذي اشتّقت منه، أو تسعى للاقتراب منه. تجريدٌ لا ينفصل عن بحث محموم في جوهر المادة وتحولاتها، يتكثّف في عمل آخر بعنوان «مدارات» نفّذه مفاضلة من مواد مختلطة، تتوسطّه دائرة حمراء اللون تحطيها دائرة بيضاء أخرى ويلفّهما الأزرق، وفوقها مئات شطرات (أجزاء) من الستائر، على بعضها رمال وبلاستيك مطحون، ترمز إلى نشوء الكون، وتقادم الزمن، وحلوله في الليل والنهار، وطوفان الإنسان حول دوائر في مدارات طقسية وغيبية، وكل ما ينبعث عنها من إحساس بما وراء الطبيعة.

> لعبة تفترض الذهاب نحو الفن بلا تخطيط مسبق أو مفاهيم جاهزة

يتوقف الزائر طويلاً عند الأعمال التي تحمل عنوان المعرض؛ أثر على أثر، مع تبلور أعمق للمقاربة البصرية الأساس لدى مفاضلة، في تعاقب الموت والبعث في المادة التي تتصدع وتتشقق وتتحور على السطح، وما تنتجه من حدود مرئية وغير مرئية، وحرية لا نهائية في تدوير الأشياء، وتوليد حركتها وإيقاعاتها في نسق جمالي متفرّد لا يقع في فخاخ التقليد والمحاكاة.
ودون تكلّف وعناء في طرح المضامين الفكرية والسياسية، يركّب الفنان عملان باسم «نهر الأردن». في الأول، تظهر أسنان مناشير حديدية مصفوفة فوق الخشب، حيث زرقة الماء بين ضفّتين؛ شرقية وغربية، بلا استطرادات حول الاحتلال المهجي المتوحّش الذي يتربص بالشعبين في كلتا الضفتين، بينما يضع مفاضلة تشابكات من الفولاذ على خشب وزنك في العمل الثاني على خلفية زرقاء، مثبتاً المقولة ذاتها أيضاً. وبالمصادفة، يعرض بين العملين «شاهد»؛ المكوّن من حديد وإسمنت وزنك وزجاجي، في أبلغ مشهد للتعبير عن مئة عام من الشهادة على العدو، وتداعيات الصراع معه، في عمل نصبي يرتفع متراً وخمسة وسبعين سنتمتر عن الأرض، وربما كان شاهد قبرٍ من آلاف احتضنتها البلاد. ثلاثة منحوتاتٍ في وسط الصالة، أولها لجسدٍ يختزله الحديد بملامحه المجردة التي تحتفظ بعلامات الزمن، والثانية لـ«أوديب في عمّان»؛ اسم لجسد آخر من الحديد، بينما تحطّ «العنقاء» بتعبيرات تتمزج بين بشريّ وطائر وجذع شجرة؛ ينشغل مفاضلة في تشكيلها بجوهر الجسد كما في أعمال أخرى بالمعرض، بلا تمييز لحدود فاصلة بين الذكورة والأنوثة، حيث الحدة والخشونة تتلاقى مع النعومة والرقّة.
ورشة عمل أنشأها الفنان منذ التسعينيات، مجاوراً بين الكتابة النقدية والممارسة الفنية، ومخلصاً لهواجس اختبرها حول مسائل حرجة، مثل ماهية الفن، واشتباك الفن مع البيئة والمحيط، ووظائف الفنون المعاصرة، وانعكست في مقالاته الصحافية وكتابه «خزائن المرئي: مشهد نقدي في الفنّ العربي المعاصر» (2017)، ومعارض معدودة ارتضى إقامتها، تترجم ما اجترحه من علاقات بصرية جديدة، ولذته في اكتشافها.

متابعة

لافتات تزييفيّة أُزيلت دون ضجيج

يحدث في ألمرية الأندلس

قصبة ألمرية التي أمر ببنائها عبد الرحمن الثالث في القرن العاشر

يبدو أن الضغوط التي قام بها المعنيون بتاريخ المدينة الأندلسية أثمرت إيجاباً عندما قامت البلدية اليمينيّة بإزالة اللافتات دون ضجيج

ألمرية (الأندلس) ـ **جعفر العلوني**

في مطلع عام 2024 قرّرت البلدية اليمينية في مدينة ألمرية الأندلسية، في الجنوب الشرقي الإسباني، بناءً على طلب من الجالية اليهودية في المدينة و«جمعية سفارد ماجنا» ومنتدى «ألمرية سنترو» وضع لافتات في مناطق مختلفة من المدينة العربية الأندلسية القديمة كُتب عليها «أحياء يهودية تعود إلى القرنين العاشر والثاني عشر»، عُلّقت في ساحة «القدّيس روكي». كذلك عُلّقت لافتات أخرى كُتب عليها: «أحياء يهودية تعود إلى القرنين الثالث عشر والخامس عشر»، بدءاً من منطقة «ملاجئ الحرب الأهلية»؛ أي ما كان يُعرف تاريخياً باسم «باب بجانة»، وهي بوابة المدينة القديمة الرئيسية الأكثر أهمية وأثرية في ألمرية الأندلسية، وصولاً إلى شارع «خوفيانوس» ومفرق «شارع المحلّات». وقد عُلِّقت اللافتات باللغتين الإسبانية والإنكليزية، وعليها شمعدانات، إضافة إلى شعار مدينة ألمرية، في رسالة موجّهة بشكل رئيسيٍّ إلى سيّاح المدينة، برّرها البعض بأنّها محاولة لجذبهم.
أثارت تلك الخطوة آنذاك انتقاد العديد من المؤرخين والمختصّين بالدراسات العربية والإسلامية، إضافة إلى عدد من منظمات وجمعيات متخصّصة في الثقافة العربية الأندلسية، حيث عرّت تلك الادعاءات؛ والتي جاءت تزامناً مع حرب الإبادة الجماعية التي تقوم بها «إسرائيل» ضدّ الشعب الفلسطيني منذ الثامن من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، عبر رسائل رسمية وُجهت إلى بلدية المدينة تدحض بالحجج التاريخية والأركيولوجية تلك المزاعم وتطالب بإزالة اللافتات. كما قام العديد من المختصين والصحافيّين بتوجيه العديد من الرسائل إلى البلدية، وكتابة مقالات تاريخية علمية تؤكّد زيف تلك الادعاءات، متصدّين لتلك الرواية الكاذبة التي تهدف، كما سبق وأشار الكاتب والصحافي رافائيل دي مارتوس، إلى «تشكيل قصّة تاريخية جديدة، لأنّ ما يحدث في ألمرية ليس استثنائياً، في ظل السردية الصهيونية المنتشرة في الغرب والتي تقول إنّ المسلمين (وبشكل خاص العرب والفلسطينيّون) يكرهون اليهود ويعادون السامية، كما لو أنَّ العرب أنفسهم ليسوا ساميّين مثل اليهود ولم يحتضنوا عبر تاريخهم اليهود حين اضطهدتهم أوروبا». وفي الإطار نفسه، قامت بعض الجمعيات بتنظيم جولات إرشادية عبر أحياء المدينة من أجل تعريف سكانها بتاريخهم الحقيقي، وبذلك ممارسة الضغط على البلدية من أجل إزالة اللافتات.

> مقالات تاريخية علمية تصدّت لتلك الادعاءات ودحضت سرديّتها الزائفة

يبدو أن نتائج تلك الضغوط كلّها التي مارسها المعنيّون بالأمر قد أسفرت إيجاباً، حيث استيقظ سكّان المدينة، أمس الثلاثاء، ولم يعثروا على اللافتات، إذ تمت إزالتها مساءً، دون ضجيج، أو صور رسمية، أو حتى دون إصدار أي بيان رسمي من قبل البلدية يفسّر ما حدث، وأسباب وضع تلك اللافتات أساساً، على غرار ما فعلوه عندما قاموا بوضعها وتصدير بيان رسمي بذلك.
ومهما يكن من أمر، لا يمكن فصل ما حدث في ألمرية عن الضغوط التي تمارسها اللوبيات الصهيونية في الغرب عموماً، وفي إسبانيا بشكل خاص؛ لا سيّما بعد الموقف الرسمي الإسباني الداعم للحقوق الفلسطينية والمدين للمجازر الإسرائيلية في غزّة، من أجل تزييف السرديات التاريخية واختطافها، وخاصة تلك المتعلّقة بالأندلس، وكأنهم يجهلون أنها كانت مكاناً متعدّداً عاشت فيه ثلاث ثقافات مختلفة: المسيحية واليهودية والإسلامية.

صوت جديد

الكتابة في زمن مثل هذا حقل ملغوم

سفيان البالي

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

وجدة، المغرب ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوانٍ إبادةٍ على غزّة؟
هي هواجس كثيرة أوقعتها الإبادة الجارية على رأسي، وعلى رأسها: كيف يمكننا الكتابة في وقت يعيش فيه إخواننا الفلسطينيون كل هذا الإجرام؟ كيف يمكننا أن نكتب عنهم؟ هل بوصفهم أبطالاً صامدين أم ضحايا يُسلخون يومياً كي تبقى التوازنات الجيوسياسية التي وضعها الرجل الأبيض قائمة؟ الكتابة في زمن مثل هذا حقل ملغوم وحيرة مستمرّة!

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟
فهمي للكتابة الجديدة مرتبط بفعل التجريب، الذي أصبح الحقل الأدبي العربي المعاصر يكتسبه أكثر فأكثر. في نظري، يفتح هذا التجريب مساحات جديدة للكتابة باللغة العربية، يدفعها لاجتراح أنساق جمالية جديدة وطرق موضوعات كانت للأمس القريب مُهملة أو مُحاصرة. وبالتالي يمنحها أدوات لا للإبداع فحسب، بل لإبداع نفسها، وهو ما أراه الجزء الأكثر حيوية في هذه الكتابة.

■ هل تشعر نفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه، وما هي هذه الملامح؟
بشكل أقل أو أكثر؛ بمعنى أشعر بأني أنتمي لهذا الجيل من الشعراء الذي يميل أكثر إلى قصيدة النثر والتجديد في اللغة الشعرية ومقاربة موضوعات راهنة مفقودة في التجارب الشعرية السابقة، لكن دون هذه المشتركات لا توجد ملامح واضحة تجمع هذا الجيل، ولكل واحد منه تجربته الخاصة ونظرته الخاصة للكتابة.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟
هي علاقة جدلية، أي أنني أقرأ لهم وأتلذّذ بإبداعاتهم العظيمة، وأُموقع من خلالهم كتابتي في السيرورة التاريخية للأدب العربي. لكنني أسعى ما أمكن للقطع معهم في لحظة الكتابة، تأكيداً لخصوصية صوتي واختياراتي الجمالية والإبداعية.

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟
هي علاقة ضعيفة جداً، إن لم تكن منعدمة.

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟
صدر ديواني الأول، «أو كما تكلّمت الشمس»، عندما كان عمري 29 سنة. ومنذ اكتمال مخطوطه، كان القرار بالنسبة لي واضحاً: لا مجال لأنشرها بشكل ذاتي! خالصاً إلى ذلك بفعل الخيبات التي عاشها أصدقائي الذين نشروا بتلك الطريقة. بالتالي بحثت عن ناشر لإصداره، وتوفّقت في ذلك بمساعدة بعض الأصدقاء من العالَم العربي.

■ أين تنشر؟
كتبي كلّها الصادرة إلى الآن هي عن «دار النهضة العربية» ببيروت. ولقد كنت محظوظاً بلقاء مديرة الدار، السيدة نسرين كريدية، التي اقتنعت بقدراتي الإبداعية، وهي تحيط أعمالي بعناية خاصة واهتمام كبير.

> يفتح التجريب مساحات جديدة للكتابة باللغة العربية

■ كيف تقرأ وكيف تصف علاقتك مع القراءة: منهجية، مخططة، عفوية، عشوائية؟
أنا أقرأ بشكل منهجي مخطّط وعفوي عشوائي؛ أي أني لا أخطّط للقراءة في موضوع معين ولا لكاتب معين، بل أترك لقلبي مهمة أن يشغف بموضوع أو كاتب، فأنهال على قراءة كل ما هو مرتبط به.

■ هل تقرأ بلغة أخرى إلى جانب العربية؟
نعم، بالإضافة إلى اللغة العربية، أقرأ بالفرنسية والإنكليزية.

■ كيف تنظر إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تُترَجم أعمالُك؟
دائماً ما يلازمني شك في قدرة الترجمة على نقل ما أكتب بأمانة إلى لغة أخرى، لكنني أعترف أيضاً بأهمية هذا الفعل الذي لولاه ما قرأنا أشعار ماياكوفسكي أو سيلان. بالتالي لدي رغبة في أن تُترجم أعمالي. وفعلاً تُرجم بعضٌ منها إلى اللغة الفرنسية والفنلندية، وهناك مشاريع ترجمة إلى لغات أخرى.

■ ماذا تكتب الآن وما هو إصدارك المقبل؟
أنهيت في هذه الأيام العمل على مجموعتي الشعرية الثانية، وأعمل أيضاً على ترجمة مجموعة شعرية للشاعر السويسري كونتان موران بعنوان «لماذا أنا شيوعي؟».

سفيان البالي (العربي الجديد)

بطاقة

شاعر وصحافي ومترجم مغربي من مواليد وجدة عام 1992. له مجموعة شعرية بعنوان «أو كما تكلمت الشمس» (2022)، وله في الترجمة أنطولوجيا «ذهبٌ وظلّ، جسد واحد» (2022) للشاعر السويسري ماركوس هيدجر. نشر له عدد من النصوص الشعرية والمقالات في الأدب والثقافة في صحف ومواقع عربية عدّة.

إطلالة

«القلم الذهبي»... الرواية في خدمة الترفيه

أنس الأسعد

لا تبتعد «جائزة القلم الذهبي للرواية» التي وعَد بإطلاقها قريباً، المُستشار في الديوان الملكي السعودي ورئيس مجلس إدارة «الهيئة العامّة للترفيه»، تركي آل الشيخ، عن أجواء «الشّو» والحركات الاستعراضية التي يُطلّ من خلالها على جمهور المُرفَّهين بين الفينة والأُخرى؛ مقابلات يُسفَح فيها ماء وجه مُحدّثيه من المُغنّين والمُغنّيات ومشاهير وسائل التواصل الاجتماعي، وأحاديث تتمركز حول أناه المتورّمة تكشف عن شخصية نرجسية، والكثير من الدُّعابات المُحرجة وثقيلة الظلّ على الهواء مباشرة.
يتكلّم تركي آل الشيخ (1981) في منشوره الترويجي، الذي كتبه قبل أيّام، بلغة الأرقام والمبالغ المالية فقط، وبهذا فإنه يُريد جَرّ الرواية العربية إلى لُعبته المفضّلة: الاستعراض، ليُحوّلها إلى مجرّد مُسنّن في عجلة أكبر تصبُّ وتدور في خدمة «الترفيه» وتسيير ديناميّاته، حيث يرصد ميزانية للجائزة تقارب السبعمئة ألف دولار أميركي.
ويضع «المستشار» جائزته التي ابتدعها بين الرواية والسينما، وبهذا فهو يُحدّد فروعها «من رأسه»، من دون أن نعرف بأي لجنة نقدية استعان حتى ارتأت عليه بهذه القِسمة: أفضل رواية رومانسية، وأفضل رواية إثارة وغموض، وأفضل رواية كوميدية، وأفضل رواية حركة (ما الفرق بينها وبين الإثارة والغموض؟)، وأفضل رواية فانتازيا، وأفضل رواية بوليسية (هل هي نفسها رواية الحركة؟)، وأفضل رواية رُعب (أيّ رعب أكثر من هذا؟)، وأفضل رواية تاريخية، بالإضافة إلى جوائز أفضل سيناريو مُقدّم من عمل أدبي، وجائزة أفضل عمل روائي مترجم.
وعلى سيرة اللجان والمؤهّلات، ربّما يكون آل الشيخ، أو أبو ناصر كما يُكنّى، قد انطلق في هذه الجائزة المليئة بالحركة والإثارة من خلفيّته الأمنية، حيث نال درجة البكالوريوس في العلوم الأمنية من «كلّية الملك فهد الأمنية» عام 2000، قبل أن يعمل في وزارتي الداخلية والدفاع، وبهذا تكون الجائزة تجربته الأولى في عالم الأدب الذي يُريد أن يهبط عليه بالمظلّة، ويخلع أبوابه على طريقته.
في المقابل ما هو هذا «القلم الذهبي» الذي يعدُ به المستشار؟ وأيّ الكتّاب سيُسارعون للتنافس عليه؟ إذ تبدو التسمية المستوحاة من فَهْم يُقارب الكتابة من زاوية «الكيتش» الرثّ، حيث يُقحِم الذهب ويجعله شرطاً لفعل إبداعي قد يكون المشتغلون فيه اليوم بغنى عنه أصلاً، لكنّه قد يجعلنا نترحّم على جوائز الرواية العربية التي تكرّست خلال السنوات القليلة، ونقبل بها بكُلّ عللها وسياساتها على اعتبار أننا أمام مستوى آخر نابت من قعر مستنقع الاستهلاك، وهذا قد يضع الكتّاب والروائيّين أمام ضغط هائل لمقاومة أكثر من تيّار، حتى يُخلّصوا مادّتهم من كلّ هذا العبث المُحيط بهم، وهنا سيكون محكّ الكتابة الحقيقية، بعيداً عن الندب والتظلّم ومراوغات الزُّهد.
من جهة أُخرى، قلّل بعض المُتفاعلين مع الخبر من خطورة مثل هذه الجائزة على الأدب الجدّي أو الرفيع، كونها مُوجّهة بالأساس صوب «الأعمال الروائية الأكثر شعبية والأكثر قابلية للتحويل لأعمال سينمائية»، مُعتبرين أنّ هذا النوع من الجوائز يرفع الأحمال عن الجوائز الرصينة ولجانها التي تُرمى في وجوه أعضائها آلافُ النصوص سنوياً من هذا النوع التجاري، كما رأى آخرون في الإعلان عن الجائزة مقدّمة لجوائز أُخرى قد تظهر مستقبلاً، ولا تحتكم سوى لمنطق الاستعراض بفجاجة «القلم الذهبي»، فضلاً عن تعليقات رأت أنّ تكريس جائزة ضخمة لمثل هذه النوعيات الأدبية التي يعدّها النقّاد بعيدة بدرجات عمّا تمثّله الرواية العربية اليوم، قد يحرف هذه الانتعاشة الكمّية والنوعيّة في كتابة الرواية عن غايتها، ويحوّل الكتّاب إلى مجرّد «متنافسين» يُلبّون رغبات و«ذوق» المُموّل، وأي ضربة للإبداع أشدّ فتكاً من هذه؟
يُذكّر قلم تركي آل الشيخ الذهبي بقصة «الجحش الذهبي» لـ لوكيوس أبوليوس، الذي عاش في القرن الثاني للميلاد، والتي يعتبرها المؤرّخون النموذج الأول للرواية، وتروي حكاية «لوكيوس» الشابّ الذي شُغف بألاعيب السَّحرة وطمح يوماً أن يصير طائراً، وألحّ على «بامفيلا» أن تدهن جسده بمرهم سحري يُحقّق حلمه، لكنّها أخطأت العُلبة وبدل أن يتحوّل إلى طائر حُرّ استحال إلى جحش يُستكرَى ويُسام أصنافاً من العذاب.
والحال كذلك، من يدري إذن، لعلّنا نشهد قريباً بمعيّة المستشار كتّاباً هُم تمثيل لـ«لوكيوس» هذا الزمان؟

فعاليات

بين الثلاثين من تمّوز/ يوليو الجاري والسابع عشر من آب/ أغسطس المُقبل، تُقام، في عددٍ من مسارح القاهرة، فعاليات الدورة السابعة عشرة من **المهرجان القومي للمسرح المصري**، بمشاركة ثلاثة وثلاثين عرضاً في المنافسة الرسمية، وثلاثة عروض خارجها. تحمل الدورة اسم الفنّانة المصرية البارزة **سميحة أيوب**.

بتنظيم من «مدى الكرمل ـ المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية»، يحتضن «فندق رمادا أوليفييه» بالناصرة، يوم السبت المقبل، أشغال **مؤتمر مدى الكرمل التاسع لطلبة الدكتوراه الفلسطينيّين**. إضافةً إلى محاضرة افتتاحية لـ **نادرة شلهوب ـ كيفوركيان**، يتضمن المؤتمر سبع محاضرات تتوزع ضمن جلستَين: «قراءات في الحالة الكولونيالية»، و«في سياسات العنف والإبادة».

عند الرابعة من بعد ظُهر الأحد المُقبل، تُقيم «مؤسّسة عبد الحميد شومان»، في فروعها بجبل عمّان والأشرفية والزرقاء والمقابلين، جلسةً نقاشية ضمن سلسلة **فيلم ورواية**؛ حيث يُعرض فيلم «1984» (1984) لـ **مايكل رادفورد**، المقتبس عن رواية جورج أورويل، ويُتبع بنقاش حول اتّساق النصّ الروائي مع الصورة السينمائية.

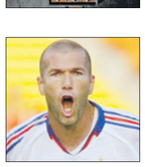

حتى الأوّل من الشهر المقبل، يستمرّ، في «3-2-1 متحف قطر الأولمبي والرياضي» بالدوحة، معرض **زيدان.. بورتريه من القرن الحادي والعشرين**. يضمّ المعرض عملاً فنّياً تركيبياً مدّته 90 دقيقة من إخراج **دوغلاس غوردان** و**فيليب بارينو**، يُعرض على 11 شاشة، ويصوّر مسيرة مهارات اللاعب الفرنسي من أصول جزائرية من خلال زوايا متعدّدة.

ثقافة

تخصّص «العربي الجديد» صفحة «نصوص الحياة والحرب من غزّة» لشعراء وروائيين ومسرحيين وفنانين من قطاع غزة، كي يعبّروا عن تفاصيل الحياة اليومية تحت القصف الإسرائيلي. هي نصوص تقول الحياة والإنسان من قلب الموت

نصوص الحياة والحرب من غزّة

شهيناز غازي أبو شبيكة كاتبة

الخروج من رفح

لم أعتد الخروج من مكان تهجيري في رفح، حيث أقبع فيه منذ ستّة أشهر بعد تهجيري من مخيمات الوسطى، اضطررت للخروج بسبب ذلك الوجع المؤلم، أتحسّس جسدي وكأنه وقع عليه لوح من الإسمنت الصلب، يسري الألم بين عظامي الهشة. بدأت رحلتي منذ الساعة السابعة صباحاً؛ للوصول مبكراً إلى الطبيب الذي أشاروا عليّ به، وهو يعمل في المشفى الأميركي الميداني الذي بدأ نشاطه في الحرب. سرت بين الخيام المتلاصقة في مركز الإيواء حتى تمكنت من الوصول إلى الطريق؛ لأحاول أن أجد وسيلة مواصلات تنقلني إلى المكان المقصود الذي لم أعرفه من قبل. انتظرت أكثر من ساعة إلى أن حصلت على مركبة بالية ليس فيها سوى العجلات والصفيح الصدئ، ففي ظل شح الوقود لا وسائل مواصلات كما اعتدنا قبل الحرب الظالمة.

بعد نصف ساعة تقريباً وصلت بي المركبة إلى مكان يطلق عليه دوار الطيارة، وإذا به مكان التفافيٌّ على أربعة محاور، يتوسّطه مجسّم لطائرة صغيرة ترتفع على علو ثلاثة أمتار؛ لتتمثل كأنّها معلمٌ تاريخي يُستدل به. بحثتُ عن العنوان وتوجهت بالسؤال عنه لكثير من الأشخاص لعلّ أحدهم يرشدني؛ لكن لا أحد يعلم به. نظرت من حولي فشاهدت عدداً من الباعة يعرضون بضائعهم، فهناك الخضار ذات الثمن الباهظ، والمعلبات التي تتركز بها المواد الحافظة لتبث السموم في أجسادنا، أما الخبز فتجد هنا الأطفال الذين لم يعرفوا أيّ نوع من أنواع النظافة وأكاد أن أجزم أنهم لم يغتسلوا لشهرين وربما أكثر، يحملون كراتين بها بضعة أرغفة بيتية فلا مخابز في غزة... تلفّ الأرغفة قطعة قماش متسخة سوداء من دخان النار الذي صنع عليها الخبز، تلك الكراتين يضعها الأطفال على الأرض الملطخة بالطين ومياه الصرف الصحي.

بحثتُ عن وسيلة مواصلات جديدة حتى أتمكن من الوصول إلى مكان أقرب لذلك المشفى، انتظرت أكثر من ساعتين لكن لا بديل عن تلك العربة الخشبية التي تجرها الدواب، وقفت العربة نظرت إلى العربنجي ثم حوّلت عيوني التائهة إلى العربة الخشبية علّي أجد مكاناً نظيفاً أجلس عليه، حاولت تنظيف بضعة سنتيمترات للجلوس، وإذا بالعربة تسير قبل أن أنهي جلوسي، فهنا الجميع على عجلة ولا انتظار، الجميع يسير بعجلة لكنهم لا يعلمون أين وجهتهم، تائهون في أيامهم الحالكة، أخذت العربة بالسير وشعرت بأن الجميع ينظر إليّ، جعلت غطاء رأسي لثاماً علّي أختفي عن الأنظار؛ لكن لا وسيلة لهذا الاختفاء، بعد دقائق من السير شعرت وكأني تأقلمت مع هذا الوضع المزري، كما اعتدنا حياتنا البائسة التي طرأت علينا، أو ربما لم نعد نحمل في دواخلنا أي اعتراض أو موافقة، لا مسيّرين ولا مخيّرين، كأنّ كلّ شيء يُشبه اللاشيء، لا فرق بين التوقف أو الاستمرار، الشعور واللاشعور، أصبحت مشاعرنا خاوية من مظاهر الحياة، وكأنّها لا تعنينا، ننتظر النهار ليعود الليل وهكذا.

■■■

وصلتُ إلى مكان جديد رأيت علمنا الفلسطيني شامخاً في سمائنا الزرقاء، سألت العربنجي هل هذا دوار العلم؟ فمعالمه تدل عليه، رد عليَّ بالإيجاب، توقفت العربة، نزلت بهدوء وتساءلت عن المشفى لكن اكتشفت أنّ عليّ ركوب عربة أخرى ليتسنى لي الوصول إليه، صعدت لعربة يجرّها حمار مرة أخرى، وبعد نحو عشرين دقيقة وصلت إلى المشفى، الذي جهز على ساحل بحر رفح.

دخلتُ بوابة المشفى وأنا متوجسة، أنظر برهبة في من هم حولي. المكان كبير، فيه ما لا يقل عن ألف شخص جميعهم ينتظرون العلاج. كان عبارة عن خيام بيضاء منصوبة، وُضعت على كلّ منها ورقة للدلالة على تخصص تلك الخيمة، فهذه الخيمة خاصة بعلاج الأطفال، وتلك خاصة بعلاج العظام، والتي تليها للعناية بالجروح والحروق والإصابات الخفيفة، أما الخيمة الأخرى فمخصصة للصحة النفسية، وهناك خيمة صيدلية لصرف العلاج، وخيمة تحجز بها تذكرتك لتتمكن من مقابلة الطبيب المختص، أما على الجانب المقابل فكانت خيام منفصلة كبيرة الحجم مقارنة بما قبلها، فهي متخصصة للطوارئ والعمليات.

في هذه الظروف ومع هذا العدد الكبير من المرضى يتوجب عليك الانتظار لساعات لتتمكن من الحصول على تذكرة، ثم انتظار جديد لتتمكن من الوصول للطبيب المختص. نظرت إلى مقاعد الانتظار المرصوصة تحت ذلك النايلون الذي يردّ عنك أشعة الشمس الحارقة وبالمقابل يضاعف حرارتها؛ لتصبح قطرات العرق تتصبب من جبينك بل من كل جسدك... عدد المقاعد محدود مقارنة بأعداد المرضى المنتظرين، ولا تكفي غير بعضهم، فيما كثيرون يترصدون ترك أحدهم مقعده ليسبق غيره للجلوس عليه، بكلّ ما فيهم من إرهاق.

بعد انتظار طويل تحت أشعة الشمس استمر ثلاث ساعات، اقترب دخولي إلى خيمة الطبيب المختص بعلاج العظام، والذي لا يأتي سوى ثلاثة أيام في الأسبوع ولبضع ساعات، استمع الطبيب لشكواي، وشخص حالتي بالتهاب حاد في العظام والمفاصل، كتب الدواء بعد أن عرف الداء. توجهت للخيمة الأخيرة (الصيدلية) للحصول على العلاج، نظرت الدكتورة الصيدلانية إليّ بعينين حائرتين قائلة في تردد: «أعتذر فهذا العلاج غير متوفر، ولا تبحثي عنه لأنّه مقطوع من غزة بسبب الحرب وإغلاق المعابر المستمر». يا له من شعور بالعجز... شكرتها واستأذنت عائدة إلى حيث بثُّ أنتمي؛ خيمتي المهترئة، حيث وصلت في الساعات الأخيرة من النهار.

■■■

وجدت من تبقى من عائلتي بعد استشهاد اثني عشر شخصاً ينتظرونني، وينظرون إليَّ بعيون دامعة حائرة

وجدت من تبقى من عائلتي بعد استشهاد اثني عشر شخصاً ينتظرونني، وينظرون إليَّ بعيون دامعة حائرة، تساءلت عن سبب تلك الدموع التي تتحجر في عيونهم، وتملّكني الخوف فلم نستيقظ بعد من صدمة الفقد، إذ فقدنا كل شيء حتى نسينا ما تبقى، سارعوا لإبلاغي بقرار إخلاء رفح، فقد قرر جيش الاحتلال الدخول إليها وإعلان عملية عسكرية موسعة فيها. سيطر التيه والضياع على الجميع، ولسان حالهم يقول: وين نروح؟

بدأت رحلة تهجير جديدة من رفح إلى مناطق جديدة وهي المواصي، والتي زعم الاحتلال أنها آمنة؛ لكن هنا غزة وليس فيها مكان آمن، حتى جوف الأرض نبشوه وأخرجوا منه الجثث، هذه رفح آخر معاقل الأمان في القطاع، أصبحت رفح وبيوتها في انتظار الدمار، رفح تنزف أهلها تضع أحمالها لمواجهة ذاك الأخطبوط السام.

في ساعات الصباح المبكرة بدأت حركة التهجير من رفح خوفاً من الموت والقتل، وما هي إلا ساعاتٍ قليلة حتى أصبحت خاوية على عروشها، حزينة لبعد أهلها. هذه رفح الصمود التي ضمت جميع أهالي القطاع، جاء وقت أهلها لتركها والخروج منها حفاظاً على حياتهم، أصبحت رفح حزينة، تلك الأشجار الشامخة ذبلت أوراقها لفراق أهلها، أما بيوتها فأصبحت خالية إلا من الذكريات، ألقى أصحابها نظراتهم الأخيرة عليها، ولسان حالهم يقول: هل لنا عودة؟ هل سنعود لبيوتنا الدافئة، لذكرياتنا، لهمساتنا؟ لقد اشتدت بنا الغمة فهذا تهجيري الخامس، ضاقت بنا الدنيا حتى أرهقت قلوبنا ومزقت أرواحنا، تتساقط الدموع من أصواتنا المتعبة، من ملامح وجوهنا المنهكة، من صمتنا حين ننزوي بعيداً، من بياض الخصلات التي غزت رؤوسنا في غير أوانها، يتساقط دمعنا من هزال أجسادنا، من نظراتنا التائهة، من الأسئلة الحائرة التي تبسط على شفاهنا دون إجابة، تتلعثم ألسنتنا وتذوب الحروف بين دموعنا الحزينة، فتلك الغصة التي تتملك القلب نشعر وكأنها تملأ الكون بأكمله، سنروي كل لحظاتنا في هذه الحرب الحاقدة، إذا ظل في العمر بقية.

20 أيار/ مايو 2024

حنين كراز صانعة أفلام أطفال

«بقي المشهد الأخير عالقاً»

في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر يوم السبت كنا نستعد جميعا لتصوير المشهد الأخير من فيلم كرتوني يتناول قضايا الفتيات ذوات الإعاقة السمعية أثناء ورشة العمل.

خلال العام الماضي، حقّقت حلمي الذي لطالما راودني وهو تجهيز الاستديو الخاص بي لإنتاج أفلام كرتون ستوب موشن، وتكوين فريق عمل «حكاوي للرسوم المتحركة»، المكوّن من ثلاث فتيات وشابين من ذوي المؤهلات الفنية الخاصة، منهم فتاة من ذوي الإعاقة السمعية. خسرت الاستديو مؤخراً خلال الحرب القاسية على غزّة، حيث إنني خرجت من مدينة غزّة بعد التهديدات الإسرائيلية للجميع بالإخلاء إلى المناطق الجنوبية؛ القصف حول منزلي من جميع الاتجاهات، خاطَر أخي بنفسه وأحضر سيارته من مدينة دير البلح جنوب الوادي وجاء لمدينة غزّة لجلبي من هناك. خرجت فوراً معه كانت هذه المرة الأولى التي أخرج فيها من محيط سكني، بالقرب من مجمع الشفاء الطبي، منذ بدء العدوان.

كنت أسمع وأتابع الأخبار لحظة بلحظة وأشاهد فيديوهات الدمار، والقصف الذي تتعرّض له المدارس والشوارع والمنازل، ولم أتخيّل أنني سأرى كل هذا الهدم والخراب على أرض الواقع، فالدمار في كلّ مكان بحيث لا يوجد منطقة سليمة لم تمسّها الحرب.

وما أن وصلت إلى بيت أهلي حتى ارتميت في حضن أمّي وانهرت بالبكاء، وبللت دموعي حضنها. أمي ليست مجرّد أم والسلام، بل هي صديقة ورفيقة ومخرجة وقارئة مثقفة متعلمة، كانت تشاركني في كلّ أعمالي وتناقشني في أفكاري وقصص أفلامي، وفي طريقة إخراجي للقصص واختيارات للألوان والموسيقى.

بينما كنت في حضنها، حدَث انفجار قوي هزّ المنزل بأكمله، وتحوّل كل شيء إلى غبار. سقطت الشبابيك على رؤوسنا، وكان الزجاج في كلّ مكان، وتحطمت الأبواب، وملأ الدخان الهواء. تمّ قصف منزل أحد الجيران وتدميره بشكل كامل على ساكنيه. قمت بتشغيل المصباح في هاتفي لرؤية وجه أمي. هل هي بخير؟ وعندما تأكدت من ذلك، ذهبت للبحث عن أبي وإخوتي وأطفالهم. لقد غير الغبار ملامحنا. هناك خمسون نازحًا من عائلتي الكبيرة في منزل والدي من الأقارب والأعمام والعمات. ابنة عمي نازحة تركت بيتها في شارع الجلاء بمدينة غزّة. اسمها وصال وعمرها ثلاثون سنة، وتعاني من إعاقة سمعية، ومع ذلك تشعر بكلّ شيء: القصف والدمار والاهتزازات. تتحدّث معي بلغة الإشارة. كنت أتواصل معها بلغة الإشارة طوال الوقت. حين يحدث قصف تسألني بالإشارة: هل شعرت بالقصف؟ هل هذه قذائف؟ وصال تبكي دائماً لأنها فقدت غزة وتفاصيل حياتها هناك. ولا تستطيع التواصل مع أصدقائها والتحدث معهم. تغمض عينيها دائما تسترجع كل ذكرياتها في غرفتها، شارعها، مكان عملها، البحر، والسماء. صديقتي سحر استشهدت في قصف إسرائيلي على مستشفى ناصر في خانيونس. كان الخبر مؤلماً وقاتلاً. أفتقدها جداً، كانت من أكثر الأشخاص المشجعين لي ولجهدي، ودائماً كانت تنتظر على أحرّ من الجمر كلّ جديد من الأفلام، التي أصنعها مع الأطفال، إذ تعشق الأطفال جداً وتعشق قصصهم وتحب الحوارات المتشعبة التي تخضوها معهم.

الآن لا يوجد هناك سحر. أخذتها الحرب ومضت.

■■■

عشتُ الشهر الثاني من الحرب وأنا مكبلة اليدين، لأنني كنت في حالة صدمة لم أمسك ريشة أو لونا ولم أرسم شيئاً، ولم أخلق شخصية لفيلم جديد. كما لم افتح اللابتوب إطلاقاً طوال كل تلك الفترة.

ظلت هذه الحال إلى أن جاءني فجأة اتصال على تطبيق الواتساب، من أحد الأطفال؛ نازح من غزّة وهو في مدينة دير البلح حالياً، سبق وشارك معي في إحدى ورش الرسوم المتحركة قبل الحرب، طالباً مني برنامج ستوب موشن المخصّص لتصوير أفلام كرتون على الموبايل، وسألني العديد من الأسئلة لرغبته في أن يقوم بعمل فيلم كرتون عن الحرب. أخبرني: «ياريت تنزلي انت معنا على الخيمة، تعلمينا كلنا جوه الخيمة كيف نعمل أفلام نتسلى فيها»، ثم أضاف: «في صغار كثير في الخيمة».

كان هذا الاتصال كافياً لأن يغير مجرى حياتي في النزوح، حيث قررت أن أخرج من شرنقتي، ومن حالة العزلة التي أعيشها، وأن أجرب أن انزل للشارع وللسوق. كانت تلك المرة الأولى التي أخرج فيها من منزل أسرتي، في ظل القصف المتصاعد والعنيف، حتى أشتري مجموعة من الألوان والأوراق. كنت آمل أن أجد أيّة مكتبة تبيع القرطاسية في ظل هذه الظروف. أصابني شعور مرير، وتألمت من قسوة ما شاهدت في الشوارع، قلوب الناس تمشي وهي محترقة ومتألمة ومجروحة ومكسورة، أطفال تجري حافية، في ظلّ البرد القارس والمطر الغزير. تجمعٌ كبير لجمهور من الصغار والكبار والنساء والشيوخ حول منتجات ومعلبات للبيع. ويندفع الكثير من الناس نحول يسألونني: هل تعرفين من أين نشتري طحين؟ بدنا طحين؟

أصوات كثيرة في الشارع... ابني اتصاوب، والله سبت بيتي فيه جرتين غاز، بس لو يرجعونا للشمال، والله اتبهدلنا، حسبي الله عليهم، الأسعار سياحية ارحمونا، شفت كرتونة البيض بـ 60 شيكل، بدور علي ترن (بدلة رياضية) لأولادي، بلاقي عندك شريط فولتامول؟ أو أي دواء مسكن للألم؟ كيس الطحين بـ 500 شيكل، يا أختي من وين نشتري محارم؟

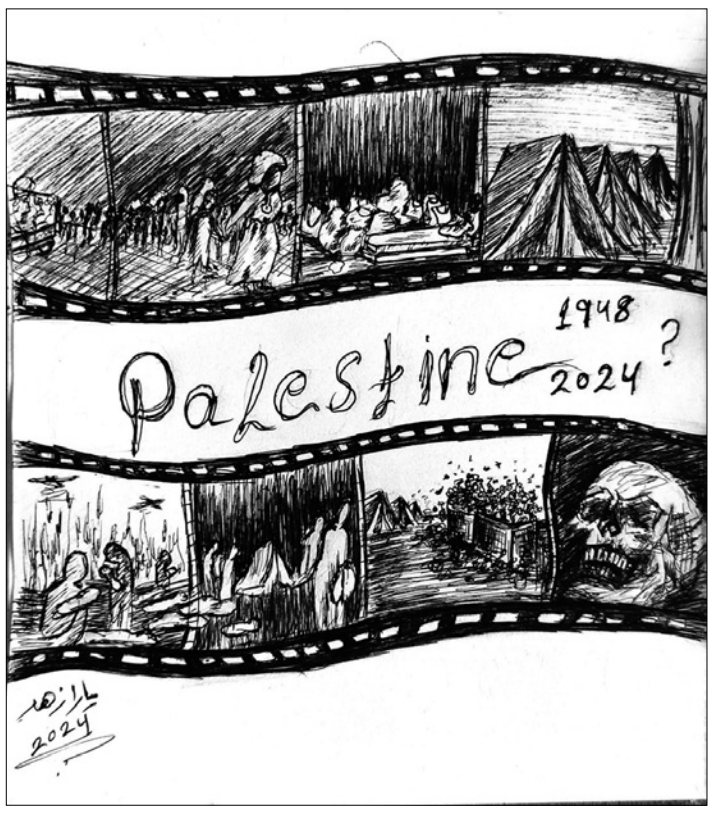

رسم للفنانة الفلسطينية يارا زهد

- (يلا يا شبسي يلا يا شبسي) بكم بكيت الشيبسي؟

- بـ 4 شيكل البكيت.

- أوف أبو نص شيكل صار بأربعة.

بدءاً من تلك الحظة، رجعتُ للبيت، وقررت في اليوم التالي أن أذهب إلى الخيام بين الأطفال والسيدات حتى أمارس هوايتي المفضلة بتدريبهم على صناعة الأفلام، وعلى إخراج أفلامي الخاصة في ظلّ الحرب. وفعلت ما قررته إذ كانت أوّل ورشة مخصصة للأطفال أقيمها في الخيام، نتج عنها أول فيلم كرتوني في الحرب بعنوان» طوابير». كان الفيلم يتحدث عن معاناة الأطفال في الخيمة والطوابير وكيف كانوا يتغلبون على مشكلة عدم توفر المياه للشرب وللاستخدام البيتي، وعلى عدم توفر الغاز والحاجة لإيقاد والنار، وما كانوا يقومون به من جلب الحطب وتوفير الخبز، وربما حاجتهم للعب فهو لا يملكون الكثير من الوقت للعب في ظل ضرورة الانتظار في كلّ تلك الطوابير اليومية التي تملأ وقتهم كله تقريباً.

تحدثنا عن اللعب والاشتياق له وعن الفقد، وتحدث كل طفل عن ما يحلم أن يقوم به بعد أن يعود للبيت، وبعد أن يجد نفسه في غرفته بعيداً عن الحارة والشارع. تحدثنا عن مساعدة الأهل في الخيام، وكيف ابتكر الأطفال أفكاراً مبدعة ليخففوا عبرها من معاناتهم ومن قسوة الحياة في الخيمة، فممنهم من صنع دولاباً لوضع الملابس الخاصة فيه من كراتين الكابونات، ومنهم من ساعد والده في تركيب سرير حتى ينام جده من خلال خشب صناديق البضائع الكبيرة. طفل أخبرني أنه قام بصناعة عمل عربة تسير على عجلات يضع عليها غالونات الماء الحلوة الصالحة للشرب ويجرها.

في المحصلة، فإن حياة الأطفال صارت طوابير، وطوابير طويلة من الانتظار.

■■■

بينما كنت في حضنها، حدَث انفجار قوي هزّ المنزل بأكمله، وتحوّل كل شيء إلى غبار

انطلقتُ لفئة جديدة بعدما لاحظت مدى تفاعل الأهالي مع أطفالهم في ورش الرسوم، ورغبتهم في أن يجربوا وحاجتهم لمثل هذه الأعمال الفنية، خاصة أن أغلب السيدات يفتقرن لوسائل التعبير الحر البسيطة، والسهلة في ظلّ الأوضاع الحالية.

اجتمعنا حول ست طاولات وخمس صوان في ورشة رسوم متحركة. تحدثت إليهن كثيراً خلال نشاط سرد القصص والحكايات، لأكتشف أنهن كلهن كن ينتظرن دورهن في الحديث، وسرد القصص والتفرغ ليعبرن عما في دواخلهن، خاصة أنهن اشتكين لي أنهن يمضين وقتهن بين الغسيل والنار والطبخ وتنظيف الخيمة وتنظيف البنات من القمل. يعشن في خيمة مساحتها أربعة في أربعة. هذه هي حدود عالمهن.

عبّرن عن مشاكلهن ومعاناتهن من خلال موضوعات محددة، وأجمعن على اختيار موضوع «الخصوصية» في الحياة بين الخيام كموضوع للسرد. في الخيام السيدات يفتقرن للخصوصية.

صنعن الشخصيات الكرتونية حيث صنعت كل سيدة شخصية تشبهها إلى حدّ كبير في طريقة اللبس والملامح، كما قمن بتلوين ما رسمن. تعلمنّ كيف يقمن بالتصوير والتحريك، وأنتجن فيلماً كاملاً مدته خمس دقائق اسمه «قيد خيمة»، وفيلماً آخر اسمه «خريف أحمر»، يتحدث الفيلمان عن النزوح، وكيف نزحت كل سيدة من بيتها، وكيف كانت مشاعرهن أثناء النزوح، وما الذي تمكنّ من أخذه معهن لحظة الخروج. وصفن خلال الفيلم مشاعرهن مع أطفالهن لحظات النزوح.

وقمن بتسجيل صوتهن وإسقاطه على شخصيات الفيلم، فيما أخذت كل سيدة دوراً يشبهها. إحدى السيدات أثناء العرض النهائي للفيلم قالت: «التجربة هاي جديدة أنا راح أجرب أعمل فيلم من خيمتي مع ولادي بدل ما طول الوقت قاعدين برا في الشمس بين الرمل».

لقد عاشت السيدات لحظات من السعادة، لأنهن أحسسن بأول إنجاز يقمن به في زمن الحرب. قالت لي رزان، وهي إحدى المتدربات، «أخدتونا من جو الحرب».

أم حمزة، سيدة كبيرة السن، كانت عندها أفكار رائعة للفيلم تشارك معنا بحماس منقطع النظير، وكان زوجها ينادي عليها بين وقت لآخر لتحضر أشغال الخيمة خاصة الطبخ، وكانت تذهب وتعود مسرعة لتواصل عملها معنا. أيضاً كنّتها كانت تحضر الورشة، وهي تحمل ابنها في حضنها. تناقش وترسم وتلون. الحماة وكنّتها.

ثمة أفلام بحاجة لصناعة.